دون فائدة . ولم يمل . لن ادور بالساقية حولها . لماذا أبقيها في أرضي واقتل أرضا أخرى بالساقية ؟ »(١) .

وتتضح دلالة الرمز حينما يقول : « آه لو كنت شابا . وتذكر الصخرة . لو كنت شابا لرفعت الصخرة . لكنني سأرفعها . هذه الصخرة ضربت شروشها في الارض لانها تركت هناك منذ زمن طويل جاءت من مكان ما . سقطت ، ربما ، من الجبل ثم ساعدها اهمالنا لها على ان تصبح قسما من الارض وعلى ان تعذبني نهارا كاملا »(٢) .

فالصخرة اذن غريبة عن الارض ، وأصبحت جزءا من الارض لاهمال أصحاب الارض ، تماما كالوجود الصهيوني ، الذي تسلل الى فلسطين وساعد اهمال الشعب العربي على رسوخه في الارض واستيلائه عليها . وفي (المزامير) رمز يقترب من الصورة السالفة يرينا كيف تسلل اليهود الى فلسطين .

« وساد الصمت ، مرة اخرى ، تذكرنا راشيل .. جاءت منذ ثلاثة أعوام مع اسرتها ، وأقاموا في طرف المدينة يصنعون السلال لاصحاب البيارات . ثم مضت الايام ، أقاموا محلا لبيع الحلوى للاطفال ومشروبات للكبار . وانضم اليهم اخرون ، وتاجروا في أشياء كثيرة منها ما يباع همسا لا نسمعه نحن الصغار ، وسرعان ما أصبحوا أغنياء يملكون بيارة وسيارة وخمارة »(٣) . (فراشيل) اسمها واضح الدلالة كرمز لليهود ، وامتلاكهم للبيارة والسيارة والخمارة ، دليل على صورة الاهمال التي لقيها اليهود في بداية تسللهم الى فلسطين واستيلائهم على اراضيها .

ونلتقي بصورة رمزية لتسللهم الى فلسطين في رواية (الكابوس) التي تعتبرهم غرباء كما كانت الصخرة غريبة عن الارض في رواية (الابتر) « لقد ظهر هذا الرجل في أزقة قريتنا فجأة . لا نعرف من أين جاء ولا نعرف ماذا يفعل في وجه التحديد . ولا نعرف لماذا سكت عنه الشيخ الكبير ولم يطرده ، حتى الان ، كما كان الناس يتوقعون . »

أغلب الظن ان هذا الرجل الغريب قدم من وراء الجبل ، فهو وان كان يتكلم بلساننا ويتقن لهجتنا الا انه ليس منا . يزعم ان اسمه موسى . لكن ما اسم ابيه ؟ وما اسم جده ؟ ولماذا لا يعرف المسنون من أهل القرية أباه وجده ، اذا كان ما يزعمه حقا من انه من مواليد قريتنا وسافر مهاجرا منها ثم عاد ، لا . لا .. انه كاذب . وروايته هذه مختلقة ، كي يندس بها بين الناس »(٤) .

فالرجل الغريب — موسى — هو اليهودي .. واسمه يحوي دلالة بينة ، وهو غريب عن هذه الارض التي يدعي ان له حقا تاريخيا بها .

وفي رواية (الابتر) نلتقي برمز دال على انبثاق فجر جديد للحياة من خلال الموت نفسه كما يقول العجوز في الابتر : « كان عليهم ان يعيشوا قدر ما عشت ليعرفوا الحياة على حقيقتها .. ليعرفوا كيف جاءت ثلجة الاربعين فلم تترك اخضر على وجه الارض وكيف نما الشجر من جديد . المهم أن الجذور كانت ما تزال في التربة »(٥) .

ويتحدث (ممدوح عدوان) عن الامل في الانتصار يوما ما . حيث ان الحياة تخرج من حضن الموت . وان الموسم المحروق يصبح سمادا يخصب الارض : « ان الارض المدللة مقهورة ، وانها تلبس الحداد ، التراب باق لن يستطيعوا احراق التراب ، هذا الموسم المحروق سيصبح سمادا وستصبح الارض أكثر خصبا »(٦) .

وسبق « حليم بركات » (ممدوح عدوان) في استخدام الرمز نفسه حينما يتحدث حليم بركات عن البلدة المحترقة التي تصبح رمادا ، وكل من الرماد عند حليم بركات ،